مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (32) العدد الأول (يونيو 2019)

ضوء البيان في الضاد الشجرية

تأليف الشيخ العلّامة: عثمان محمد الأنصاري (1372هـ)

تحقيق ومراجعة

محمد محمد مولود الأنصاري* و ميلاد مفتاح العيويص

كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا.

* **Email:** ansarimohammed722@gmail.com

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان والصلاة والسلام على محمد أفصح العرب من عدنان وقحطان، وعلى آله وصحبه أهل الفصاحة والتبيان، أما بعد:

فقد دفعنا حبنا للتراث العربي إلى البحث والتنقيب عن المخطوطات التي تخدم هذا الدين وتدرس لغة القرآن الكريم، فبينا نحن في تلك الحال؛ إذ وقع بين يدينا هذا المخطوط النفيس والعقد الثمين، فشرعنا في قراءته والنظر فيه بعين المتأمل الصب التوّاق لمعرفة أسراره ومعانيه ودقائقه، فإذا هو بحر زاخر وسحّ مدرار، وحلقة لا يدرى أين طرفاها.

ولا غرو فإن العلماء في زمن الشيخ عثمان الأنصاري صاحب مخطوط "**ضوء البيان في الضاد الشجرية**"، قد بلغوا غاية العلوم ومنتهاها، فقد جمعوا

بين العلم والورع، وبين الأدب والزهد، فنالوا عالي الرتب، فلما كثرت المعاصي والكبائر كما هو الحال في وقتنا، قلّ العلم وأهله، وكثر الجهل بأنواعه، فتصدى للعلم والفتوى والتأليف من ليس بأهل لذلك، فاستنسر البغاث، ولكن الحقّ أحق أن يتبع، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

أسباب اختيار الموضوع

من الأسباب التي دفعت الباحثين إلى اختيار هذا المخطوط:

1. حب كتب التراث العربي؛ لما تحتويه من كنوز دفينة وفوائد جليلة، وهذا المخطوط يعد واحدا منها.
2. إخراج هذا المصنف من كونه مخطوطا موحشا– كحال غيره من المخطوطات– إلى كونه مطبوعا منشورا تعم به الفائدة.
3. بيان آراء العلماء القدامى والمحدثين في هذا الحرف الذي نسبت إليه اللغة العربية فسمّيت به (لغة الضاد).

المنهج المتبع في هذه الدراسة

منهجنا في تحقيق الرسالة اقتفاء طريقة النص المختار؛ فأثبتنا في المتن ما اتفقت عليه النسختان، وإذا اختلفت تخيرنا منهما الصحيح، والأنسب للسياق، ثم قمنا بتخريج الآيات والأحاديث الواردة فيه، وعزو الأبيات وتخريجها ما أمكن، وبيان بعض ما يحتاج إلى بيان في الهامش أحيانا.

إشكالية الموضوع الذي تناوله المخطوط

ظهر للباحثين بعد دراستهما لهذا المخطوط سعة اطلاع الشيخ ومدى إحاطته بالموضوع، وتبيّن أنه درس الموضوع دراسة جيدة، وأعاره من الاهتمام ما جعله يكشف عن كثير من الأمور التي كانت غامضة، ويبدو أنّه بحث في المسألة بحثا دقيقا؛ لأنه – فيما يظهر– كان يردّ على من ينكر عليه المخرج الذي يُخرِج منه الضاد؛ مما دفعه إلى بحث المسألة في مظانّها، فذكر أقوال

علماء العربية والقراءات في مخرج (الضاد)، فبدأ بوصف القدامى لهذا الصوت؛ ليكون ذلك قاعدة ينطلق منها إلى الرد على من أنكر عليهم نطق (الضاد)، وأكّد أن وصف القدامى للصوت أقرب إلى نطقهم له، بينما غيرهم ينأون عن ذلك، ورأى أن المسألة اجتهادية لا يحل لمجتهد أن ينكر على مجتهد آخر فيها.

وقد استمعنا إلى صوتية للإمام محمد ناصر الدين الألباني يتحدث فيها عن حرف الضاد، فذكر أن عامة قرّاء مصر والشام –إلا القليل منهم– لا ينطق الضاد وفق ما قرره علماء العربية والتجويد القدامى؛ إذ ذكر أن الضاد عند قرّاء الشام ومصر المحدثين تكون بإلصاق رأس اللسان بسقف الحنك وذلك خطأ؛ كما أنّها عندهم من غير استطالة ولا رخاوة، بينما الضاد الحقيقية –حسب وصف القدامى– تكون بإلصاق حافة اللسان بالأضراس مع الاستطالة والرخاوة، وهو بذلك وافق الشيخ عثمان الأنصاري صاحب المخطوط فيما ذهب إليه من وصف الضاد عند القدامى.

ويبدو أن هذا التغيير في النطق بالضاد سرى منذ زمن بين الناس، وهذا ما أشار إليه الشيخ عثمان حين استشهد بقول الناظم:

الضاد حرف عسير يشبه الظاء*** لا الدال يشبه في لفظ ولا الطاء
لحنٌ فشا منذ أزمان قد اتبعت*** أبناؤها فيه أجدادا وآباء

الدراسات المشابهة

ومسألة البحث في مخرج الضاد مسألة نالت اهتمام العلماء، إذ تعاورتها أقلامهم قديما وحديثا وممن بحثها على سبيل المثال لا الحصر:

- أبو الصلاح: علي نور الدين بن محسن الصعيدي المالكي المتوفى سنة 1130هـ، في بحثه: فتوى في مسألة الضّاد، وقد نشر بحثه بتحقيق : أ.م.د. ليث قهيّر عبد الله الهيتي، مجلة الجامعة العراقية، السنة التاسعة عشرة/العدد 3/29 لسنة 2012م.
- العلامة محمد المتولي الضرير: المتوفى (1313هـ)، في بحثه (رسالة الضاد)، تحقيق ودراسة: د. حسين نوري محمود، د. صلاح ساير

فرحان، كلية التربية – مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد (18)، العدد (1)، كانون الثاني.

- د. عبد اللطيف محمد الخطيب، ضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية، عالم الكتب، ط1، 2001م.

وهناك كتب وبحوث أخرى لم نطّلع عليها تناولت هذه القضية بشكل مفصّل أو غير مفصّل.

وفي خاتمة هذا التقديم نرجو من المولى ﷻ أن يتقبل منا هذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المحققان، زليتن، ليبيا

بتاريخ 11/ من ذي القعدة عام 1439هـ، الموافق 2018/7/23م.

القسم الدراسي

أ. التعريف بالمؤلف

ترجمة الشيخ عثمان بن محمد الأنصاري

وجدنا للشيخ ترجمة وافية في كتابٍ عن الأنصار التمبكتيين وهذا الكتاب ألّفه الدكتور الفاضل: عبد الله بن محمد المهدي الأنصاري المحاضر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد أبلى المؤلف بلاء حسنا في جمع المادة العلمية، وبذل جهدا في التنسيق والترتيب حتى جاء الكتاب في حلة زكيّة، وطلعة بهية برّاقة سنية؛ مما جعل الباحثين يعتمدان عليه اعتمادا كبيرا، في ترجمة الشيخ العلامة؛ ولأنا بحثنا عن ترجمة الشيخ في جملة من الكتب التي اهتمت بدراسة أدباء وعلماء الصحراء الكبرى، فلم نجد من ترجم للشيخ ترجمة وافية – فيما اطلعنا عليه –مثله؛ لذا آثرنا الاعتماد على هذا الكتاب، والنقل عنه بتصرف يسير، فهو كما قيل في المثل "ابن بجدتها"[1] .

[1] أي أنا عالم بها، والهاء راجعة إلى الأرض، مجمع الأمثال، للميداني: 22.

اسمه ومولده ونسبه

هو الشيخ العلامة: عثمان بن محمد بن محمد المولود ابن القاضي الشهير حمّاد بن محمد بن قطب بن محمد بن محمد المختار الأنصاري.

شيوخه وطلبه للعلم

دأب أهل ذلك الزمان على طلب العلم وتعليم أبنائهم، وبذلوا لأجل ذلك الغالي والنفيس، فسعوا إلى تعليمهم القرآن الكريم وعلوم الآلة والعلوم الشرعية، وكان الشيخ ممن طلب العلم صغيرا، فتتلمذ على عدد من المشايخ في عصره منهم على سبيل المثال : الشيخ العلّامة محمد المعروف بـ(همّا) بن الطاهر بن محمد أحمد بن محمد الأنصاري، والشيخ سيدي أحمد بن الصيد، والشيخ سيدي علي الولاتي، وغيرهم، وقد طلب العلم في تمبكتو وأروان وولاتة وغيرها، وأمضى ما يقارب أربعين عاما في رحلة طلب العلم، حتى أجازه مشايخه، فبرع في الفقه والأصول والتفسير وعلوم اللغة العربية، وله إسهامات فيما سوى ذلك من الفنون والعلوم الأخرى كعلم الحساب والمنطق وغيرها.

تـلاميـذه

لمّا تصدّر الشيخ للإقراء وتفرّغ للتدريس تتلمذ على يديه الكثير من طلبة العلم منهم ابنه: محمد أحمد، وابنه محمود، وكذا العلّامة الشيخ: محمد المختار بن حوَّدْ الأنصاري، والشيخ محمد الطاهر المعروف بـ(التاي)، والشيخ محمد بن إبراهيم بن ألالَوِينْ الأنصاري والشيخ حتّاي بن إبراهيم من قبيلة سيدي عالي (من الأشراف)، وعبد الله بن عالي وأخوه محمد بن عالي، والعلامة محمد محمود بن الشيخ سيد أحمد الأرواني قاضي تمبكتو وجمع كثير من الناس.

مؤلفاته

لم يهتم العلماء في إقليم تمبكتو بالتأليف كثيرا؛ لظروف حياتهم التي تغلب عليها البداوة؛ ولقلة الورق، وما سوى ذلك من مقومات التأليف، وللشيخ

عثمان رسائل عديدة متنوعة في شتى الفنون مما دوّنه أو دوّنه تلاميذه من فتاويه ومما ألفه:

- رسالة في مخرج الضاد وهي التي نحن بصدد تحقيقها.
- منظومة في الرد على أهل الزيغ والضلال، مخطوط في مركز أحمد بابا التنبكتي برقم 1305، وتقع في ستة أوراق.
- كشف الغطاء والنقاب عن سبيل الهدى والصواب، رسالة تقع في ستة وعشرين ورقة، مخطوط في مركز أحمد بابا التنبكتي برقم 1301.

وله العديد من المؤلفات من الكتب المخطوطة المحفوظة في مكتبة مركز أحمد بابا بتمبكتو، ومنها مراسلات بينه وبين علماء المغرب وشنقيط.

شِعــره

كان – رحمه الله تعالى– من الشعراء المكثرين، وله قصائد جياد، في المدح والفخر والحماسة وغيرها، ومن قصائده ما يتسم بالطول كقصيدته في مدح الأمير محمد المولود "اللودّ" الأنصاري، ومن قصائده ما هو عبارة عن ردود ردّ بها على بعضهم في مسائل في العقيدة والفقه واللغة أو في الدفاع عن القبيلة إذا تعرض لها شاعر من قبيلة أخرى محاولا الانتقاص، أو النيل منها، والتقليل من شأنها.

وفاتـــه

توفي رحمه الله تعالى حوالي سنة 1372هـ، وقد عاش ما يزيد على ثمانين عاما، قضى أكثرها في طلب العلم وتدريسه، نسأل الله له الرحمة والمغفرة وأن يجزيه خير الجزاء إنّه على ذلك قدير! [1]

[1] ينظر كتاب الأوفى المختار في تاريخ بني إنفا الأنصار، للدكتور عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري، ص ص: 395-404.

ب) التعريف بالكتاب

توثيق اسم الكتاب ونسبة الكتاب

وجدنا في إحدى نسخة المخطوط عنوان الكتاب هكذا : "ضوء البيان في الضاد الشجرية" وهي النسخة الأم التي اعتمدنا عليها لبيانها ووضوحها، والمؤلف نفسه ذكر في مقدمة كتابه أن بحثه منصبٌّ على ما صوبته الكتب في "الضاد الشجرية"، فلعله أخذ عنوان بحثه من هذه العبارة، وأما نسبة الكتاب فلا يعلم الباحثان اختلافا في نسبته للشيخ عثمان الأنصاري وقد سبق وأن ذكرناه في مؤلفاته عند الحديث عنها، ومما يعضد ذلك ما ذُكِرَ في كتاب (الشعر الأنصاري وتاريخه في مراحله الثلاث) عن الشيخ عثمان الأنصاري أنه : "له كتاب في تحقيق مخرج الضاد في لغة العرب) [1].

موضوع الكتاب ومحتواه

المؤلف تناول حرف الضاد صفة ومخرجا واستعان بعدد لا بأس به من كتب اللغة والقراءات والتفسير، وبذل جهدا لا بأس به في بيان ذلك، ويبدو أنّ سبب تأليفه للكتاب هو الردُّ على من أنكر عليه مخرج الضاد، فجاء الكتاب حجة للشيخ يدحض بها أقوال المنكرين، ويبرهن على أن الخلاف في صفته ومخرجه حاصل بين القدامى والمحدثين وأنّ دفع ذلك دونه خرط القتاد.

منهج المؤلف وأسلوبه

اتبع المؤلف منهج إيراد الأدلة ردا على من أنكر عليه الحرف الذي ينطق به، وأورد الأدلة في نقاط، ذكر فيها أنّ صفة الحرف عند القدامى من العلماء: كسيبويه، والداني، والشاطبي، وابن الجزري وغيرهم موافقة أو قريبة لما ينطق به الشيخ ومن تبعه، بينما معارضوه بعيدون عن تلك الصفة، فهو بذلك قد اتبع منهجا وصفيا تحليلياً، والتزم السلاسة والبساطة واجتنب التعقيد؛ وربما تجد في كلامه شيئا من التكرار، لغرض التأكيد والتقرير.

[1] تأليف: أحمد الأنصاري وصديق الأنصاري، 371.

أهمية الكتاب ومكانته

تتمثل أهمية الكتاب في أنه قدّم مادة عملية دسمة، فتناول الشيخ جوانب متعددة مفيدة منها ماله علاقة مباشرة بوصف الضاد صفة ومخرجا، ومنها ما له علاقة وطيدة بالموضوع مثل بعض المباحث في اللغة وأصول الفقه والفقه والتفسير، فلا يخلو الكتاب من درر وجواهر يلتقطها القارئ، وكذلك بسطه لآراء كثير من العلماء قبله في المسألة.

مصادر الكتاب

اعتمد الشيخ على مصادر متنوعة من كتب القراءات والتجويد واللغة والبلاغة والتفسير والفقه

فمن كتب القراءات: الروضة الندية شرح متن الجزرية، شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، الرعاية مكي بن أبي طالب، والشاطبية، ومن كتب اللغة: الكتاب لسيبويه، ومن كتب البلاغة: حاشية الشيخ مخلوف على شرح حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للأخضري، ومن كتب التفسير: مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، تفسير الخازن، ومن كتب الفقه: مختصر خليل.

ج) قسم التحقيق

وصف النسخ ومنهج التحقيق

والمخطوط كتب بخط واضح وفق الخط المغربي القديم الذي كتبت به المصاحف المغربية القديمة على رواية ورش عن نافع كما هو معروف بين القرّاء في تلك البلاد، وقد كان الخط السائد بين الناس في تلك الفترة ومما يتميز به كتابة القاف كالفاء المعروفة اليوم أي بكتابة نقطة واحدة فوقها وكتابة الفاء بوضع نقطة واحدة أسفل الحرف.

اعتمدنا على نسختين: الأولى جعلناها أصلا؛ لوضوح خطها، وحسن الكتابة، ولقلة الخرمشة فيها حتى لا تكاد توجد إلا في القليل النادر وهي بخط الشيخ محمد بن المنذر بن إبراهيم رحمه الله، والأخرى أقل وضوحا من الأولى،

وهي بخط ابن حمد حمد بن الصالح ؛ فكان اعتمادنا الكبير على الأولى ؛ فإذا وجد اختلاف بينهما أشرنا إليه في موضعه، ورمزنا للنسخة الأخرى بالحرف (ب)، وقمنا بتخريج الآيات والأحاديث، وعزو الأبيات إلى قائليها، وترجمة الأعلام الذين وجدنا لهم تراجم في الكتب، كما قمنا بالرجوع إلى عدد من المصادر التي نقل منها الشيخ واستعان بها في تأليفه.

وأرفقنا بهذا التحقيق صورتين للنسخة الأمّ من هذا المخطوط، الأولى: هي بداية المخطوط والأخرى: نهايته، وأخريين للنسخة الثانية التي رمزنا لها بالحرف (ب) هي الأولى والأخيرة.

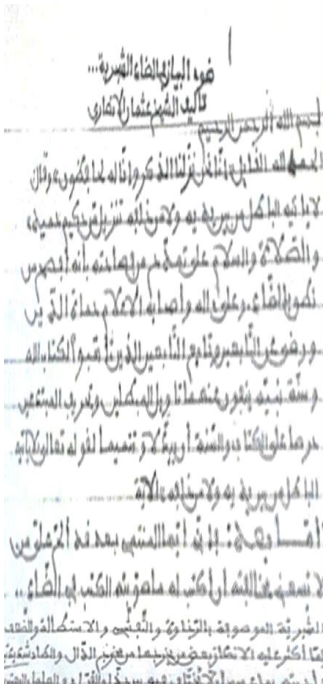

(الورقة الأولى من المخطوط النسخة الأم)

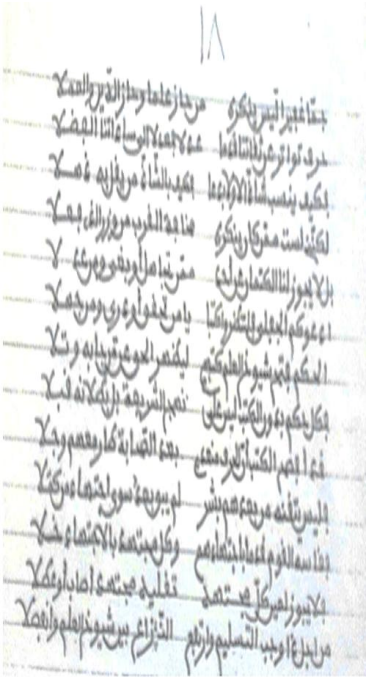

(الورقة الأخيرة من المخطوط النسخة الأم)

(الورقة الأولى من النسخة ب)

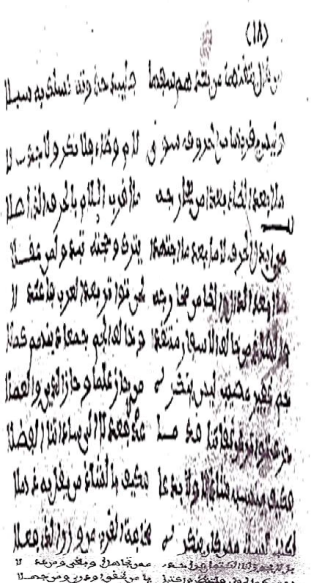

(الورقة الأخيرة من المخطوط: النسخة ب)

ضوء البيان فى الضاد الشَّجْرِيّة
تأليف الشيخ عثمان الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم[1] الحمد لله القائل :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، وقال: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[3]، والصلاة والسلام على من [4] تمدح من فصاحته بأنه أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وأصحابه الأعلام حماة الدين، ورضي عن التابعين وتابع التابعين الذين تأهبوا لكتاب الله وسنة نبيه ينفون عنهما تأويل المبطلين، وتحريف المبتدعين حرصا على الكتاب والسنة أن يبدلا، وتتميما لقوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[5].

أما بعد؛ فإني أيها المنتمي بعدُ، قد ألحّ عليّ من لا تسعني مخالفته أن أكتب له ما صوّبته الكتب في الضاد الشجرية الموصوفة بالرخاوة والتفشي والاستطالة والضعف لما أكثر عليه الإنكار بعض من يخرجها من مخرج الدال والطاء شديدتين فأجبته بما عسى ألا يختلف فيه بين حذاق القراء والعلماء المعتبرين.

إنّ من أمعن النظر في الضاد، وجنّب التمويه والهوى والحمية وجد الحرف الذي نقرأ به أقرب للصواب؛ لأمور:

الأولى منها: أن الحرف الأصلي مخصوص بالعرب الأُوَل، ولا يمكن النطق به بعدهم على حقيقته الأصلية، فقرأنا بالحرف الذي نقرأ به متحدا ومتفقا

---

[1] وفي (ب) بزيادة :" وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليما".

[2] سورة الحجر: 9 .

[3] سورة فصلت: 42.

[4] وفي (ب) بزيادة (مِن) وهو الصواب.

[5] سورة فصلت: 42.

بالحرف الأصلي المعجوز عنه في المخرج[1]، ومرادفا له في اللفظ، والطاء شديدة والدال اللتان يقرأ بهما غيرنا على خلاف ذلك.

الثاني من الأمور: أن الضاد استطالت برخاوتها حتى اتصل مخرجها بمخرج اللام المفخمة فعسرت التفرقة بينهما؛ ولذلك أخرجها كثير من الناس لاما مفخمة كما ذكره الإمام السخاوي[2]:

كم رامها قوم فما أبدوا سوى*** لامٍ مفخمة بلا عرفان[3]

وما قارب الشيء يعطى حكمه والطاء والدال على خلاف ذلك.

الثالث من الأمور: أن اللام أقرب من جميع الحروف الهجائية إلى الضاد في المخرج حتى الظاء كما ذكره الأيمة وسيأتي ذكره- إن شاء الله- قريبا مفصلا، وقد ذكره ابن بُونَ[4] أيضا في حاشيته على الاحمرار عند ذكره مخارج الحروف.

---

[1] العجز عن النطق بالحرف فيه نوع من التجوز؛ إذ لا يستحيل النطق به على من يسّره الله عليه ؛ ولعل الشيخ عنى بكلامه ندرة من ينطق الحرف من مخرجه الأصلي في هذا الزمان حتى صار كأنّه معجوز عنه.

[2] الشيخ الإمام العلامة شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي نزيل دمشق... وكان إماما في العربية، بصيرا باللغة، فقيها، مفتيا، عالما بالقراءات وعللها ... قال الإمام أبو شامة: وفي ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة توفي شيخنا علم الدين علامة زمانه وشيخ أوانه بمنزله بالتربة الصالحية. سير أعلام النبلاء للذهبي تحقيق الدكتور بشّار عوّاد معروف والدكتور يحيى هلال السرحان: ج23/ 122-123-124.

[3] من متن نونية السخاوية في التجويد- والبيت عليه خربشة في المخطوط - حيث قال:

كـمْ رامَهُ قومُ فما أبدَوا سِـوى * لامٍ مُفخَمَةٍ بِـــــلا عِرفـــــانِ

مَيِّزْهُ بالإيضاح عن ظاءٍ ففي * (أضْلَلْنَ) أو في (غِيضَ) يشْتَبِهانِ

رخيم الحواشي على نونية السَّخاوي، المؤلف: عبد الرحمن أبو حمزة المغربيُّ،: 45.

[4] هو المختار بن محمد سعيد المعروف بالمختار بن بونا الجكني، توفي سنة 1220هـ وأشهر كتاب له: احمرار الألفية" أو "الطرة" وهو توشيح وشرح لألفية ابن مالك. ألفية ابن مالك مع احمرار ابن بونا في علوم النحو والصرف، صححه وراجع مادته: أبّاه بن محمد عالي بن نعم العبد، مقدمة المحقق 10-11.

الرابع من الأمور: أن رسول الله ﷺ تَمدَّح بإخراجه، فقال: "أنا أفصح من نطق الضاد بيد أني من قريش" [1]، وذلك دليل على عدم اهتداء كل إليه مع أن القاموس الذي اصطاد بشبكته البري من اللغة والبحري والبدوي والحضري، وما تكلمت به العرب العاربة اليعربية اليمنية، والعرب المستعربة المعدّية الحجازية[2] والنجدية بيّن أنّ هذا الحرف خاص بصميم العرب، لا يمكن لأحد بعدهم النطق به، بخلاف الحرف الذي يقرأ به غيرنا، فإنه لا يعجز أحدا النطق به، ولو أعجم ما يكون، فقاسه من قاسه بعد العجز عنه من المجتهدين المحققين والعلماء المعتبرين على اللام المفخمة أو الظاء المشددة مع أن اللام أقرب للصواب؛ لما تقدم من الأدلة؛ ولما سيأتي– إن شاء الله– فحرم بعد اجتهاد المجتهدين إخطاء[3] مجتهد مجتهدا، وإنكار أحد الفريقين على الآخر، فوجب التسليم لمن قرأ بأيتهما شاء، فقال شارح الهمزيّة[4]: "ولا يخرجه على حقيقته[1] إلا رسول الله ﷺ فكيف نحن؟!"

---

[1] وفي كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل العجلوني (1162هـ) ج1/200-201" أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش" قال في اللآلئ: معناه صحيح ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره ورواه أصحاب الغريب ولا يعرف له إسناد ...".

[2] بزيادة الحجازية هنا عن (ب).

[3] ويبدو أنه أراد " تخطئة"، وسيتكرر منه ذلك فيما يأتي.

[4] لعله قصد بـ"الهمزية" "الهمزية للبوصيري في مدح خير البرية"، ففيها بيان أن النبي صلوات الله وسلامه عليه أفصح من نطق بالضاد حين قال:

فارْضَهُ أَفْصَحَ امْرِئٍ نَطَقَ الضَّا، دَ فَقَامَتْ تَغَارُ مِنْهَا الظَّاءُ.

ويبدو أنه قصد بشارحها العلامة ابن حجر الهيتمي وهو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته ... توفي 974هـ)، الأعلام للزركلي، ج1/ 234.

الذي شرحها في كتابه " المنح المكية في شرح الهمزية" فقد ذكر في شرحه كلاما بهذا المعنى حين ذكر في شرح البيت السابق قوله: "وخصها [أي الضاد] ؛ لأن غير العرب لا يحسن إخراجها من مخرجها، والعرب وإن أحسنوه لكنهم متفاوتون فيه، وكلهم لم يصل أحد منهم إلى الحد الذي كان ﷺ يصل إليه في تأديتها" المنح المكية في شرح الهمزية المسمى أفضل القِرى لقرّاء أم القُرى، للإمام

قال الشيخ مخلوف المناويّ: "إنها أصعب الحروف خروجا على غير العرب بحيث لا يفصح بها في الغالب كما هي إلّا العرب"[2].

وهذا دليل على عدم اهتداء كل إليه؛ لأنّ الحرف الذي يقرأ به غيرنا لا يعجز أحدا النطق به، ولو أعجم ما يكون.

الخامس من الأمور: ما رواه صاحب خزينة الأسرار[3]ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4]، وقول أبي هريرة – رضى الله عنه– عن النبي ﷺ: (المراء في القرآن كفر)[5]، : "قال أبو عبيد: ليس وجه التفسير على الاختلاف في التأويل؛ ولكنه على الاختلاف في اللفظ، وهو أن يقرأ الرجل على حرف فيقول له الآخر ليس هو هكذا؛ ولكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء بهما؛ لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[6]، وقال: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[7] الآية، فإذا جحد كل

شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي (974هـ)، تح: أحمد جاسم المحمّد وبوجمعة مكري: 662.

[1] في (ب) (حقيقتها) بإرجاع الضمير على الحرف باعتبار معناه ؛ إذ هو لفظة.

[2] حاشية العلامة الشيخ مخلوف بن محمد البدوي المنياوي على شرح حلية اللب المصون للعلامة الشيخ أحمد الدمنهوري على الرسالة الموسومة بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع لعبد الرحمن الأخضري: 13.

[3] خزينة الأسرار الكبرى جليلة الأذكار، جمع الأستاذ الكامل السيد : محمد حقي النازلي. وصاحب الكتاب هو محمد حقي بن علي بن إبراهيم النازلي: فاضل متصوف من علماء (آيدين) توفي بمكة سنة 1884م، ينظر الأعلام للزركلي: ج6/ 108.

[4] سورة غافر: 4.

[5] بزيادة (رضي الله عنه) هنا عن (ب)، (وقول أبي هريرة وقد روى عن النبي ﷺ...)، والحديث رواه أبو داود في سننه قال : " حدثنا أحمد بن حنبل، ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "المراء في القرآن كفرٌ" رقم الحديث (4603).

[6] سورة الحجر: 9.

[7] سورة فصلت : 42.

واحد قراءة صاحبه لم يؤمن أن يكون ذلك يخرجه من الملة[1] إلى الكفر؛ لأنه نفى حرفا أنزله الله؛ إذ قرئ به القرآن وحُفظ به"[2] .

فإذا نظرت هذا يظهر لك أن لا سبيل لأحد[3] إلا تصويب ما يقرأ عليه الفريقان معا، وتسليم لما نصّ عليه الأيمة من المخارج، ويظهر لك أن الجن والإنس لا يقدرون على تغيير حرف من القرآن بعده .

السادس من الأمور: أن ابن بون قال[4] :

من جهة الأضراس جا الضاد ومن **** حافة اللسان جا اللام[5]

وقال في شرح هذا البيت[6]، وانفردت العرب بكثرة استعمال الضاد، ولايخرجها من مخرجها غيرهم، وقال في التسهيل: وما دون حافة اللسان إلى منتهى طرفه ومحاذى ذلك إلى الحنك الأعلى اللام[7].

السابع من الأمور: أننا لما حققنا أن الحرف الأصلي مخصوص بالعرب الأول ومفقود بعدهم ؛ لعجز الكلّ عنه، وأن الحرف الأصلي مخرجه أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس قرأنا على الحرف الذي هو معه في اجتهادنا بعد فقده وعجز الناس عنه؛ لترادفهما في اللفظ والمخرج وحمله على الطاء والدال أبعد منه فيهما، وفي شرح الشاطبية[8]:

---

[1] بزيادة (من الملة) عن (ب).

[2] خزينة الأسرار الكبرى جليلة الأذكار، جمع الأستاذ الكامل السيد / محمد حقي النازلي: 26.

[3] بزيادة (لأحد) عن (ب).

[4] ورواية الكتاب:

من جهة الأضراس جا الضاد ومن *** حافتي اللسان جا اللام ومِن

ألفية ابن مالك مع احمرار ابن بونا: 255.

[5] وفي (ب) (حافتي) وبزيادة (ومِن).

[6] وفي (ب) (شرحه على هذا البيت).

[7] "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" لمحمد بن عبد الله ابن مالك الطائي صاحب الألفية المشهورة في النحو والصرف، تح: محمد كامل بركات، وقد قال في بيان مخرج الضاد واللام: "وأول حاف اللسان وما يليه من الأضراس للضاد، وما دون حافته الى منتهى طرفه ومحاذي ذلك من الحنك الأعلى للام": 319.

[8] وفي (ب) بزيادة (لأبي يحيى زكريا الأنصاري).

والضاد من حافته إذ وليا* الأضراس[1] البيت.

يعني والضاد تخرج من طرف اللسان مستطيلة إلى ما يلي الأضراس من أيسر أو من يمناها[2]، قال: وهي أصعب الحروف وأشدها على اللسان؛ ولهذا قال ﷺ: "أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش" وقوله: بيد : بمعنى من أجل، وقيل: بمعنى غير، وأنه من تأكيد المدح بما يشبه الذم[3]، قال الشاعر[4]:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم*** بهن فلول من قراع الكتائب

قال: واللام أدناها لمنتهاها[5]: أي أول حافة اللسان مع ما يليها من الحنك الأعلى إلى آخرها.

وفي شرح الدرر اللوامع" قال سيبويه[6]: ومن أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج للضاد[7] .قلت: وهذا المخرج بعيد من الحرف الذي يقرأ به غيرنا. وقال في المناهج[8]: ومخرج الضاد ما بين حافة اللسان والأضراس، وهذا المخرج هو بعينه مخرج الحرف الذي نقرأ عليه بخلاف غيرنا فإن مخرج الحرف الذي يقرؤون عليه مخرج الطاء والتاء والدال، وقال الناظم[9] : من أول:

---

[1] من متن الجزرية، الروضة الندية شرح متن الجزرية للإمام العلامة المحقق أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الشهير بابن الجزري (833هـ)، شرح محمود محمد عبد المنعم العبد، صححه وعلّق عليه / السادات السيد منصور أحمد من علماء الأزهر الشريف: 21- 22.

[2] المصدر نفسه وكذا الصفحات.

[3] تأكيد المدح بما يشبه الذم فن بديعي وهو "أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها في صفة الذم" علم البديع: عبد العزيز عتيق: 164-165.

[4] ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، والفلول: ثلوم، قراع: قتال، والقراع: الصلب الشديد: 32.

[5] البيت من متن الجزرية : 22.

[6] ينظر الكتاب لسيبويه (ت: 180هـ) تح: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي، ج4/ 433.

[7] شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الملك المنتوري القيسي(834هـ)، تقديم وتحقيق الأستاذ الصِّدِّيقي سيدي فوزي، ج2/ 836.

[8] لم نقف عليه.

[9] أي ابن الجزري.

أي من أول حافة اللسان، وهى أيضا تخرج من الجانبين، ومن الناس من يخرجها من الجانب الأيسر، وقال في التسهيل[1]: وهذا هو الغالب في العبارات وفي الحس أيضا. ومنهم من يخرجها من الجانب الأيمن وهم الأقل، وبعض من لا ضبط له يخصها بالأيمن، ويحكى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه يخرجها من الجانبين والطاء والدال على خلاف جميع ما تقدم.

(الثامن) من الأمور: أن الحرف الأصلي هو أصعب الحروف في النطق كما في شرح التسهيل، والذال والطاء على خلاف ذلك.

(التاسع) من الأمور: أن الضاد الأصلية توصف بالرخاوة[2]، والمراد بها أن الصوت والتفشي يجريان معها، وهذا من أقوى الأدلة على أن الحرف الذي نقرأ به أقرب للصواب ؛لأن الطاء والدال لا يمكن جريان الصوت والتفشي[3] معهما، وأن الضاد الأصلية تتفشى، والتفشي : هو انتشار خروج الريح وانبساطه وتسمى الضاد المستطيلة[4].

---

[1] ينظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك بإيجاز: 319. وفي (ب) (شرح التسهيل).

[2] ذكر الدكتور كمال بشر أن هناك خلافا بين القدامى والمحدثين في مخرج الضاد ووصفها، فأما المخرج فنقل عن سيبويه وابن جني أنهما نسباها إلى منطقة تلي منطقة الجيم والشين والياء أي أنها تخرج من وسط الحنك أو هي– بتعبير حديث– لثوية حنكية، وهذا في الحق يختلف عما نمارسه اليوم من نطق الضاد؛ إذ إنها تخرج من نقطة الدال والتاء والطاء، وهذه الأصوات أسنانية لثوية، وأما الخلاف الثاني ففي الصفة فهي عند القدامى رخوة أي احتكاكية بينما عند المحدثين صوت انفجاري شديد، فالضاد القديمة يمكن نسبتها إلى مجموعتين من الأصوات بحسب حالة ممر الهواء عند النطق بها: فهي عندهم كاللام : فهي جانبية؛ لأن هواءها ينحرف إلى جانبي الفم كما ذكر في كلام ابن جني، وكما قال حفني ناصف : "فالضاد واللام يتوزعان حافة اللسان، وكذا يمكن نسبة الضاد القديمة إلى الأصوات الاحتكاكية كما ذكر سيبويه من قبل؛ إذ عدّها في الأصوات الرخوة وكما يفهم من عبارة ابن جني أيضا. ينظر الأصوات العربية، د. كمال بشر: 105–106.

[3] وفي (ب) (والنفس) بدل (التفشي).

[4] وما ذكره الشيخ عثمان الأنصاري من أن التفشي صفة من صفات الضاد أيضا نقله الدكتور كمال بشر وذكره في كتابه "الأصوات العربية" فقال ناقلا كلام ابن جني في عدم إدغام الضاد في الطاء: "وأما الضاد فلأن فيها طولا وتفشيا فلو أدغمت في الطاء لذهب ما فيها من التفشي فلم يجز ذلك" سر صناعة الأعراب لابن جني ج230/1، ثم قال بشر: فوصفها بالتفشي يعني أنها رخوة احتكاكية، فالتفشي إنما يظهر مع هذه الأصوات ودليلها هو الشين.": 107.

وقال في شرح الدرر اللوامع أخبر المصنف: "أن بعضهم يجعل التفشي في الضاد" والطاء والدال على خلاف ذلك؛ ومما حملنا على القراءة على الحرف الذي نقرأ عليه ماحكاه مكّي[1] في الرعاية: "أن الضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام[2]، وقال في شرح الحضرية [3]: وقيل : في الضاد تفشٍّ لاتصالها بمخرج اللام، وقال السّمّانيّ [4] في مرشد القارئ: وقد ذكر بعضهم الضاد في التفشي لاستطالتها، وقال ابن القصّاب في تقريب المنافع[5]: الضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام وتسمى "الضاد المستطيل" وهذا هو الذي ذكره سيبويه، فقال: استطالت حتى خالطت على الثنيتين، وقال المهدي[6] في الشرح: سميت بذلك؛ لأنها استطالت حتى اتصلت بمخرج اللام.

[1] هو مكي بن أبي طالب من علماء القرن الخامس الهجري، ترك العديد من المصنفات منها كتابه هذا الذي ذكر المصنف رحمه الله " الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ... توفي سنة 437هـ، ينظر الأعلام للزركلي، ج286/7.

[2] الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات: 135.

[3] كذا في المخطوط لكنّه بعد البحث تبيّن أن الصواب "الحصرية" بدل "الحضرية"، ولعله سهو من الناسخ . والحصرية نظم للإمام المقري الأديب أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري، ينظر قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، تأليف الدكتور عبد الهادي حميتو، ج74/2.

[4] هو عبد العزيز بن علي بن محمد، أبو الأصبغ السماتي الإشبيلي المعروف بابن الطحان ولد بإشبيلية عام 498هـ وتوفي بحلب سنة560هـ، الأعلام للزركلي، ج4/22-23. وفي المخطوط السماني وفي الترجمة السماتي.

[5] كتاب "تقريب المنافع في حروف نافع" للإمام أبي عبدالله محمد بن علي بن عبد الحق الأنصاري، المعروف بابن القصاب توفي حدود (690هـ) طبع بتحقيق : محمد بن عبد الله البخاري من إصدارات الإمام أبي عمرو الداني، ينظر مقدمة الكتاب.

[6] هو أحمد بن عمّار، أبو العباس المهدوي المقرئ، نسبة إلى "المهدية" مدينة صغيرة بالقيروان له من الكتب: "التيسير"، وكتاب "الهداية في القراءات السبعة"، توفي قريبا من 440هـ، الأعلام للزركلي، ج1/ 184- 185.

وقال الداني[1] في كتاب المخارج : استطالت في الفم حتى اتصلت بمخرج اللام، وقال في إرشاد المتمسكين: استطالت حتى اتصلت بمخرج اللام، وقال في إيجاز البيان والمفصح: "استطالت حتى اتصلت بمخرج اللام"[2].

وفي شرح الشاطبية: الضاد المعجمة تتصف بالاستطالة استطالتها حتى تتصل بمخرج اللام فصارتا متقاربتين في المخرج وما قرب الشيء يعطى حكمه"[3]، وقال في التحرير: استطالت حتى اتصلت بمخرج اللام، وذكر الحسن بن شريح في نهاية الاتقان: استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، والطاءُ والدال ليس فيهما تفشٍّ ؛ لعدم انتشار خروج الريح وانبساطه اللذين هما حقيقة التفشي والاستطالة للزومهما لمخرجيهما ولا خلطة بينهما وبين الضاد في المخرج، ولا في اللفظ، بخلاف اللام فإن بينها وبين الضاد لشبها أو قربا في اللفظ والخروج في مخرج واحد.

فإذا نظرت هذا يظهر لك بأدنى لمحة أن الحرف الذي نقرأ عليه أقرب للصواب؛ لما تقدّم من الأدلة، وأن الحرف الذي يقرأ به غيرنا أبعد منه؛ لبعد مخرجه من مخرج الضاد فتأمّل!

ويظهر لك أيضا أن من أبطل صلاة من صلى وراء من قلّد ما ذكرنا من نصوص المجتهدين من المتقدمين والمتأخرين غبيّ لا يعبأ به أو جاهل فلا تتعب نفسك بمناظرته إن لم تسامح نفسه بتعلم ما جهل من كبر أو عناد أو بطر.

ومما حملنا على القراءة على الحرف الذي نقرأ عليه أن العلّامة الجامع بين الشريعة الحقيقة والديانة والعدالة والولاية والصيانة والحكمة والعفة (حمّاد) الأنصاري المجدد المجتهد؛ بل وأعمد حبر في (بلاد التكروريّة) علما وهدى

---

[1] هو عثمان بن سعيد، أبو عمرو الأموي القرطبي الدّاني ولد عام : 371هـ، رحل إلى المشرق في طلب العلم فلقي مبتغاه هناك ثم رجع إلى بلده له من الكتب: " التيسير" و"الوقف والابتداء" و"طبقات القراء"، وغيرها، توفي بدانية سنة: 444هـ.، الأعلام للزركلي، ج4/ 206.

[2] شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، ج2 /855- 856.

[3] من قوله: "وفي شرح الشاطبية إلى يعطى حكمه" زيادة عن (ب).

وعقلا وعدلا –رحمه الله ورضي عنه وأرضاه وعنّا ببركته[1]– هو وغيره من علماء الأمة المحمدية، ومن مجتهدي المتقدمين والمتأخرين هو قدوتنا على التمسك بهذا الحرف[2]؛ لما علم وفشا من بلاغته وفصاحته حتى كاد من ترقيقه وتدقيقه وتنميقه وتحقيقه وبراعة ألفاظه الناصعة وكلماته الجامعة وتصرفه في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية (ينسي قسّا وأبا تمام)[3]، وله في البلاغة[4] الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج؛ بل هو المنبع لكل فن في زمانه ففيض غيره قل من كثّر منه، بحر من العلم والأحبار تشهد لي بأنه حكم وقدوة الحكماء :

يفيضُ كالبحر لا كالبحر في هممٍ*** تـعْلُو على هممٍ فيا لها همما
فيـالها حكما تهدي إلى حكـــم***فاقتْ على حكم فيـالها حكما
عينُ الشريعة ما في حكمهِ شططٌ***مـع الحقيقة فض فيضُها فسَما
بحرٌ من العلـم من يَغُصْ بِلُجَّتِه*** يـستخرج الـدرّ منبثا ومنتظما
فليس يـدركُه الأشياخُ قاطبـــةً***ممـن أتى بعده ومن[لَهُ] قَدُمَا
هذا هو الحق فاستمسك بعروتـه***ولا يصدَّنَّك الإصـغا لمن زعما
شوارِدُ العلـم بعد مـوتِه ذهـبتْ***فلـيس يـدركـها من بعده العلما

وكذلك معاصره[5] القدوة الظاهرة والثقة العادلة والحجة الواضحة العالم العلامة الشهير بـ(حمّى) وأبوه[6] الغوث الكامل الذي لم ينسج على منواله القائم

---

[1] (رحمه الله) و(ببركته) زيادة عن (ب).

[2] وفي (ب) " قدوتنا على القراءة على هذا الحرف".

[3] هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي من بني إياد أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ... ينظر الأعلام، ج5/ 196، وأما أبو تمام فهو حبيب بن أوس الطائي الشاعر الأديب أحد أمراء البيان له تصانيف منها : فحول الشعراء وديوان الحماسة ونقائض جرير والأخطل ... توفي سنة 231هـ، ينظر الأعلام للزركلي: ج165/2.

[4] وفي (ب): "وله في باب البلا.

[5] في (ب) بزيادة (القطب الرباني) بعد (معاصره).

[6] وفي (ب) بزيادة (ابن سيد عال) بعد (أبوه).

بجميع الدعائم (علي بن النجيب) [1] الذي هو شمس زمانه ومفرده، فلايشك من طالع تواليفهما ممن مارس كتب البلاغة أن الكلام طوع مرادهما[2] قد حويا فنونها واستنبطا عيونها ودخلا في كل باب من أبوابها وأنهما للأصول والفروع أبو عذرهما، ولكل فنٍ هما جذيله المحكك وعذيقه المرجب قد قرآ على الحرف الذي نقرأ عليه وأن (الطاهر بن حمّى) المتقدم ذكره [3]ابن سيد عال الذي قرأ أولا على غيره من هذا الإقليم ما نقل عنه في الإنكار على من قرأ على غيرها قرأ عليه قلامة ظفر، ومع هذا لا يجوز لأحد التأسي ولا الاعتماد على لغات أهل هذا الزمان، ولاعلى مخارجهم؛ لما غلب عليهم من العجمة والجهل، وإنّ ما يعتبر ويعتمد عليه لغة العرب الأول، ولسانهم من زمن نبي الله إسماعيل على القول بأنه أول من فتق لسانه بالعربية الفصحى إلى صدر هذه الأمة، فلما كثرت الفتوحات وكثرت أيضا السراري[4] من العجم تغيّر اللسان العربي، واستحكم اللحن في أبناء السراري حتى ابتكر الإمام علي بن أبى طالب النحو، فبقي الاحتجاج والاعتماد على لغة أهل البوادي حتى استكثروا من مخالطة العجم فاستحكم أيضا[5] اللحن في الكل.

فمن أنكر علينا الحرف المتعارف عند فحول القراء والمصنفين من المجتهدين فمجالنا معه في ذلك محل النظر والترجيح[6]، فلا يصلح ذلك ولا يهتدى إليه إلا على يدي عالم متقن متفنن في علم اللسان يبلغ درجة الترجيح علما وعدالة، فليضمر طرفه ويكمل طرفه، ويبر قلمه، ويكتب حجته مع ما كتبنا، أو لنحضر جميعا عنده ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة﴾[7] .

---

[1] هو شيخ حمّاد الأنصاري وشيخ السيد البكاي الكنتي، كان من العلماء الأجلاء في عصره ...

[2] وفي (ب) بزيادة (والبلاغة ملك قيادهما) بعد (مرادهما).

[3] بزيادة (المتقدم ذكره) عن (ب).

[4] وفي (ب) (السرائر).

[5] بزيادة (أيضا) عن (ب).

[6] في (ب) (التراجح) بدل (الترجيح).

[7] سورة الأنفال: 42.

وليدع كثرة الإنكار على الناس لما فيه من البلوى حتى قيل: إنه يؤدي إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله، قال سيد عمر بن سعيد: "لايزال المعترض يعترض على الخلق حتى يعترض على الله، كما لايزال المنكر ينكر الباطل حتى ينكر الحق".

ومع هذا ففي كثرة الإنكار عقوق الأشياخ، وقد روي أن عقوق الأشياخ، وكثرة الرد عليهم ليس لذلك عقوبة والعياذ بالله إلا سوء الخاتمة.

وأما من أبطل صلاة من صلى وراءنا، وقاس الحرف الذي نقرأ عليه على قراءة ابن مسعود الشاذة محتجا بقول المختصر: " أو بقارئ كقراءة ابن مسعود"[1] فمقيد بقيود[2] منها: أن القراءة الشاذة التي يعنون هي: ما خالف لرسم[3] المصحف العثماني كقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ : (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله)[4]، وكقراءة: (لا تكونوا كالذين ءاذوا موسى فبرئ مما قالوا) [5].

ومنها: أن تخالف القراءة الشاذة أركان القرآن الثلاثة، وهي: موافقة اللغة العربية، ورسم المصحف العثماني، وصحة الإسناد، مع أن الشاذ الذي استوفت فيه شروط الشذوذية لا تبطل الصلاة به اتفاقا[6]، وإن لم تجز القراءة به ابتداء على المشهور، فإذا نظرت ما بيننا وبين القوم يظهر لك أنا لا نخلو من أمرين:

---

[1] جواهر الإكليل شرح مختصر العلامة الشيخ خليل في مذهب الإمام مالك إمام دار التنزيل للعالم العلّامة والبحر الفهامة المتوسل إلى الله تعالى/ الشيخ صالح عبد السميع الآبي الأزهري، ج78/1.

[2] في (ب) بزيادة (الناس).

[3] كذا في الأصل والصواب (رسم).

[4] ورد في أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (370هـ)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين،" وقَوْله تَعَالَى: ﴿فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قَرَأَ عُمَرُ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَأُبَيٌّ وَابْنُ الزُّبَيْرِ: "فَامْضُوا إلَى ذِكْرِ اللَّهِ"؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَوْ قَرَأْت: "فَاسْعَوْا" لَسَعَيْت حَتَّى يَسْقُطَ رِدَائِي" ج3/ 595.

[5] ورد في منح الجليل شرح مختصر خليل لمحمد بن أحمد بن محمد عليش: " وَكَقِرَاءَةِ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرِئَ مِمَّا قالوا" ج1/ 360.

[6] ينظر المصدر نفسه والجزء والصفحة.

إمامة مجتهد لمجتهد، أو إمامة أعجم لأعجم مِثْلا لمثل، فإمامة هذا لمثله جائزة اتفاقا انظر جواهر الإكليل شرح خليل عند قوله: "وإمامته لمثله جائزة في الصلوات الخمس وغيرها"[1] ؛ لأن الحرف معجوز عنه لا يهتدى إليه بعد العرب الأول؛ فوجب التسليم لهذا لمن قرأ أي الحرفين شاء، وأما من أبطل حجتنا بأنا لم نميز بين لام وضاد محتجا بقول المختصر: " وبغير مميز بين ضاد وظاء أو صاد وسين وذال وزاي"[2]، فحجته داحضة بما إذا كان اللاحن عامدا قادرا على الحق فتركه عمدا أو اختيارا، فإن الضاد الأصلية معجوز عنها، فلا يقدر أن يخرجها من مخرجها غير العرب الأول، ومن اعتمد على لغات أهل هذا الزمان وعلى مخارجهم، وادّعى أنه أصاب الحرف المعجوز عنه فليرينا جذوته نقتبس منها.

وقال السخاوي: الضادُّ حرف مستطيل مطبق حرف يكل عنه كل اللسان[3] في هذا الزمان، فإذا ثبت عجز الكلِّ عنه فحمله على اللّام؛ لما بينهما من المشابهة في المخرج، وتقاربهما في اللفظ أولى من حمله على الطاء المشددة؛ لبعد مخرجها من مخرج الضاد فـــتأمـــل!

فإذا نظرت هذا يظهر لك أيضا أن ما بيننا وبين القوم، إما أن يكون اختلافا في الفروع الظنية التي لا يجوز فيها إخطاء[4] مجتهد غيره، وإما أن يكون من مسائل العجز التي لا حرج فيها على العاجز عنها من لكنة أو غيرها، وانظر المختصر عند قوله: "وجاز اقتداء بأعمى ومخالف في الفروع وألكن"[5].

---

[1] جواهر الإكليل شرح مختصر خليل ج78/1.

[2] المصدر نفسه وكذا الجزء والصفحة.

[3] والبيت كما في نونيته في التجويد:

والضادُ عالٍ مُستطيلُ مُطَبَقٌ * جَهِرٌ يَكِلُّ لديه كلُّ لسانِ

رخيم الحواشي على نونية السخاوي لأبي حمزة المغربي: 42.

[4] والصواب (تخطئة).

[5] جواهر الإكليل شرح مختصر خليل: ج80/1.

فعلم بما تقدم أن قياس من قاس الحرف الذي نقرأ عليه على قراءة عبد الله بن مسعود الشاذة لقياس[1] بعيد من الصواب؛ ولأن الشاذة ما خالف فيه الثقة الواحد جماعة الثقات .

ومن قرأ على الحرف الذي نقرأ عليه من ثقات المجتهدين من المتقدين والمتأخرين فجم غفير، وجمع كثير كعدد نجوم السماء، ومع هذا فنقض حكم الحاكم[2] حكم بقول شاذٍّ أو ضعيف فمقيد بما إذا لم يصحبه عمل المتقدمين، فإذا صحبه عملهم[3] وجرى به عند قضاة العدل، ودُوّنَ في كتب العلماء المحققين لم ينقض كما ذكره الأصولية، ومع هذا إن[4] قياس من قاس الحرف الذي نقرأ به بقراءة عبد الله بن مسعود ليس بقياس شبه ولا علّة ولا دلالة، فعلم بذلك أن قياسه باطل بعيد من الحق ؛ لأنه قياس عقل وقياس العقل باطل مردود على صاحبه عند الأصولية وبه قالوا [5]:

من قاس بالعقل بلا أصول *** عوقب بالحرمان بالوصول

فتأمل النصوص اللاتي صرحت بمخرج الأصلية تجد الحرف الذي نقرأ عليه مطابقا بالمخرج الذي صرحت به، بخلاف الحرف الذي يقرأ عليه غيرنا فإنه لا يمكن إخراجه إلا بمخرج الطاء والتاء والدال، وذلك خلاف ما صرحت به نصوص الأيمة المذكورة، فعلمنا أن الحرف الذي نقرأ عليه إن لم يكن بالحرف الأصلي فقريب منه جدا، وما قارب الشيء يعطى حكمه، ومن الدليل على أنّ الحرفين إذا تقاربا في المخرج جاز أن يبدل[6] أحدهما من الآخر، إبدال التاء

---

[1] وفي (ب) (فقياس).

[2] أي فنقض حكم حاكم حكم بقول شاذ .

[3] وفي (ب) (عملٌ).

[4] أي : فإنّ.

[5] ينظر كتاب من نصوص الفقه المالكي (بوطليحية) وهو نظم في المعتمد من الكتب والفتوى على مذهب المالكية لمحمد النابغة بن عمر الغلاوي الشنقيطي ت 1245 هـ . تح: يحيى بن البراء: 139 وروايته في الكتاب:

من قاس بالفعل بلا أصول *** لغرضٍ لم يحظ بالوصول

[6] وفي (ب) (إذا تقاربا في المخرج يبدل أحدهما...).

طاء، وإبدال الذال دالا[1] كاصطلم وادّان وادّكر وبغداد، وفي بعض مطوّلات شراح ابن هشام على ألفية ابن مالك إبدال الضاد لامًا نحو قول الشاعر[2]:

لما رأى أن لا دعه ولا شبع

مال إلى أرطاة حقف فالطجع

ومن الدليل أيضا[3] على أن الحرفين إذا تقاربا في المخرج يبدل أحدهما من الآخر جواز الضاد والظاء[4] في قوله تعالى: ﴿وَمَاهُوَعَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[5].

ومن الدليل أيضا على أنّ الحرف الذي نقرأ عليه أقرب للصواب أن الحرف الأصلي خاصّ بصميم العرب[6]، ول ايمكن النطق به بعدهم لغيرهم، والذي نقرأ عليه معجوز عنه أيضا ومفقود في لغات العجم؛ لعجزهم عنه، والذي يقرأ عليه غيرنا لا يعجز أحدا النطق به، ولو أعجم ما يكون[7] .

---

[1] وفي (ب) (وإبدال الذال دالا) وهي القراءة الأنسب بدليل الأمثلة بعدها.

[2] البيتان من شواهد النحاة في باب الإبدال، ذكرهما الأشموني في شرحه لألفية ابن مالك فقال: ... ومن ضاد اضطجع في قوله: "مال إلى أرطاة حقف فالطجع " قال في الهامش: " قاله ابن منظور بن حبة الأسدي:

والشاهد في "فالطجع" فإنّ أصله اضطجع فأبدل الضاد لاما وهو شاذ" شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، ج586/2. وفي (ب) لم يستشهد بالبيت.

[3] بزيادة (أيضا) عن (ب).

[4] ورد في (تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن أبو جعفر الطبري (310هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي " وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24] اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ ﴿بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24] بِالضَّادِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ غَيْرُ بِخَيْلٍ عَلَيْهِمْ بِتَعْلِيمِهِمْ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ. وَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَبَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ: ﴿بِظَنِينٍ﴾ بِالظَّاءِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ غَيْرُ مُتَّهَمٍ فِيمَا يُخْبِرُهُمْ عَنِ اللَّهِ مِنَ الْأَنْبَاءِ ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بِالضَّادِ" ج24/ 167.

[5] سورة التكوير: 24.

[6] وفي (ب) بزيادة (الأول) بعد العرب.

[7] قصد القول بأنّ النطق السائد الآن لحرف الضاد غير معجز، حتى العجم يستطيعون النطق به، وهذا يخالف قول من قال إن النطق بالضاد الصحيحة مختص بصميم العرب وهذا إشكال، فالضاد العربية الفصيحة لا ينطق بها نطقا صحيحا إلا صميم العرب ؛ ولذلك سميت اللغة العربية بـ " لغة الضاد" وقد أشار د. إبراهيم أنيس إلى ذلك حين قال : قد يدهش بعض المصريين وأهل الشام وجهات

فإذا نظرت هذا يظهر لك كفاحا[1] أن الحرف لا يخلو من أمرين: إمّا أن يكون من الاختلاف في الفروع الظنية، التي لا يجوز فيها[2] لأحد المجتهدين إخطاء مجتهد غيره[3]، وإما أن يكون من مسائل العجز التي لا حرج فيها على العاجز عنها؛ لأنّ الحرف الأصلي معجوز عنه لا ينطق به إلا صميم العرب فليس لنا إذ ذاك إلا تقليد ما نصّ عليه الأئمة من المخارج .

وأما من أبطل صلاة مقتد بمخالفه في الحرف فذلك جهل بنصوص الأيمة وتضافرها على جواز الاقتداء بمخالف في الفروع فكيف بمخالف في الحروف! إذ لا يجوز الإنكار على مخالف فيها ألبتة حتى قال ابن مسعود بكفر صاحبه محتجا بقوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [4].

وبقوله ﷺ: "المراء في القرآن كفر"[5]، قال: ليس وجه التفسير الاختلاف في التأويل؛ ولكن في اللفظ وهو أن يقرأ الرجل على حرف، فيقول الآخر: ليس هو هكذا ؛ ولكنه على خلافه، وينكر كل واحد منهما قراءة صاحبه والله تبارك

أخرى في البلاد العربية لهذه التسمية " لغة الضاد" ويتساءلون عن السر فيها، ولاسيما بعد أن يتصلوا باللغات الأوروبية فيروا أن بعض هذه اللغات تتضمن من الأصوات ما يشبه نطقهم بالضاد ... فإذا أتيح لبعضنا الاطلاع على وصف سيبويه لصوت الضاد القديمة تبين لهم أن الضاد التي وصفها سيبويه تختلف عن ضاد المصريين وأهل الشام .، ولكن الدكتور رجع بعد الاستفاضة في الحديث عن اختلاف القدامى والمحدثين في النطق بالضاد إلى الحديث عن تسمية العربية بلغة الضاد، فذكر أن القول بأن اللغة العربية لغة الضاد فيه مقال إذ لا مستند له في النقل أو النظر وذلك لأن الحديث الذي استندوا عليه :" أنا أفصح من نطق بالضاد" لا أصل له، وكذا ادعاء تفرد العرب بالنطق بالحرف دون الحروف الأخرى فقد تعثر الأعاجم في صدر الإسلام بأصوات عربية أخرى أكثر من تعثرهم في النطق بالضاد، وذكر أنّ تسمية العربية بلغة الضاد إنما ظهر في القرن الرابع الهجري، ينظر الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: 50، و 62.

[1] كفاحا: أي مباشرة . ينظر تهذيب اللغة للأزهري، تح: محمد عوض مرعب، مادة كفح.

[2] بزيادة (فيها) عن (ب)

[3] وفي (ب) بزيادة (إذ لا يدري من هو المصيب منها لكثرة الخطأ مع الظن فلذلك لا يجوز)

[4] غافر: 4

[5] سبق تخريجه.

وتعالى، قال:﴿إِنَّانَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّالَهُلَحَافِظُونَ﴾ [1]، وقال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَامِنْ خَلْفِهِ﴾ [2] .

فإذا أنكر كل واحد منهما قراءة صاحبه لم يؤمن عليه أن يكون ذلك (كفر[3])؛ إذ أنكر حرفا أنزله الله إذ قرئ به القرآن وحُفظ به، ومن أنكر حرفا منه فقد أنكره كله. انظر خزينة الأسرار تجد هذا مطولا[4] .

وأما إبطال صلاة اللاحن فمقيد بمن يقدر على الصواب فتركه عمدا واختيارا، انظر شراح المختصر عند قوله :" وهل بلاحن الخ"[5]، وانظر الجزء الأول من الذهب الإبريز 10[6] أجزاء في التفسير[7] يتضح لك المراد طولا ويكف لسانك عن إنكار مثل هذا ألبتة.

ومن الدليل على أن الحرف الذي يقرأ عليه غيرنا حادث في هذا الإقليم من الأعاجم التكرورية وقبائلنا الصحارية، وكانوا حين يقرؤون على الحرف الذي تقرأ عليه أعمد رجال في العلم والدراية والعدل والتقوى.

وفي الحديث "إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[8]"[1] أي صاحبها في النار؛ فلذلك لا نخالف ما

---

[1] سورة الحجر: 9.

[2] سورة فصلت: 42.

[3] وفي (ب) (كفرا).

[4] ينظر خزينة الأسرار جليلة الأذكار، محمد حقي النازلي: 23، المطبعة الخيرية. (د.ت).

[5] ينظر جواهر الإكليل شرح مختصر خليل عند قوله : " وهل تبطل باقتداء بلاحن في قراءته مطلقا عن تقييده بكونه بفاتحة وبتغييره المعنى لأنه ليس قرآنا..." ج1/ 78.

[6] وفي (ب) (من الأجزاء العشرة في التفسير).

[7] الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ محمد بن المختار بن محمد سعيد المعروف بـ "محمد اليِدَّالي"، المتوفى سنة 1166هـ، بتقديم وتحقيق الأستاذ الراجل بن أحمد سالم اليدالي، الأمين العام لزاوية الشيخ محمد اليدالي في موريتانيا (التي تعود إليها حقوق طبع ونشر الكتاب).
يصدر الكتاب في سبع مجلدات عن مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، في طبعةٍ أولى على نفقة القاضي أحمد أبي المعالي بن أحمد بن التاه بن حمينا. من موقع ملتقى أهل الحديث :http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=335338

[8] وفي (ب) (وكل ضلالة صاحبها في النار) وهو تفسير للحذف الواقع في الحديث للإيجاز.

في النصوص، ومن خالفنا فلا ننكر عليه؛ إذ لا نعدّه إلا اختلافا واجتهادا بين العلماء الذي هو رحمة للعالمين.

وقال الإمام[2] ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري في كتابه مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير: "إن اشتباه الضاد بالظاء لا يبطل الصلاة، ويدل على ذلك[3] أن المشابهة حاصلة بينهما جدا والتبيين عسر، فوجب أن يسقط التكليف بالفرق؛ لبيان المشابهة" [4].

وإذا ثبت هذا فنقول: لو كان هذا الفرق معتبرا لوقع السؤال عنه في زمن النبي ﷺ وفي زمن الصحابة ﷺ لاسيما عند دخول العجم في الإسلام، فلمّا لم ينقل السؤال عنهم[5] عن هذه المسألة ألبتة علمنا أن التمييز بينهما ليس في محل التكليف، فإذا ثبت هذا نقول: فكذلك التمييز بين الضاد الأصلية واللام المفخمة ليس في محل التكليف؛ لأن المشابهة بينهما شديدة أيضا، والتمييز عسر؛ لما تقدم من أن الضاد استطالت برخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام المفخمة، فعسرت التفرقة بينهما ؛ ولذلك أخرجها كثير من الناس لاما مفخمة، ومن أجل المشابهة الشديدة بينهما قال السخاوي – حجة عليهم لاعلينا– (شعر)[6] :

كـم رامها قومٌ فما أبْدَوا سوى *** لامٍ مفخمةٍ بلا عِرْفَانِ

---

[1] سنن ابن ماجه: "عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: إنما هما اثنتان. الكلام والهدى. فأحسن الكلام كلام الله. وأحسن الهدي هدي محمد.ألا وإياكم ومحدثات الأمور. فان شر الأمور محدثاتها. وكل محدثة بدعة. وكل بدعة ضلالة..." رقم الحديث 46.

[2] وفي (ب) (الإمام محمد الرازي فخر الدين العلامة ضياء الدين...).

[3] وفي (ب) (ويدل عليه أن المشابهة).

[4] مفاتيح الغيب–التفسير الكبير: فخر الدين الرازي خطيب الري (606هـ)، : حيث قال " الْمُخْتَارُ عِنْدَنَا أَنَّ اشْتِبَاهَ الضَّادِ بِالظَّاءِ لَا يُبْطِلُ الصَّلَاةَ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُشَابَهَةَ حَاصِلَةٌ بَيْنَهُمَا جِدًّا وَالتَّمْيِيزُ عَسِرٌ، فَوَجَبَ أَنْ يَسْقُطَ التَّكْلِيفُ بِالْفَرْقِ" ج69/1.

[5] بزيادة (عنهم) عن (ب).

[6] سبق توثيقه.

بل حجة لنا عليهم؛ لأنّ الطاء المشددة التي يقرؤون عليها لا خلطة ولا مشابهة بينها وبين الضاد لا في اللفظ، ولا في المخرج بخلاف الحرف الذي نقرأ عليه لاتمييز بينه وبين الضاد في المخرج، وهو مرادف لها[1] في اللفظ وإن لم يكنه في الحقيقة فقريب منه جدا وشبيه به، فوجب أن يسقط التكليف بالفرق؛ لبيان المشابهة فتأمّل وانظر المطولات عند العفو عن كل ما عسر الاحتراز منه تجد طرفا من الصدد الذي نحن فيه".

وقال الشيخ العالم العلامة سيدي التلمتي:

الضادُ حرفٌ عسيرٌ يشبه الظاءَ*** لا الدالَ يشبه[2] في لفظ ولا الطـــاءَ
لحنٌ فشا منذ أزمانٍ قد اتبعــتْ*** أبـــــناؤُهَــا فيــه أجــدادا وآبـــــاء
من غير مستندٍ أصـــلا وغايتُهم*** إلف العوائـــــدِ فيــه خَبْطَ عشـــواءَ
والحقُّ أبلج[3] لايخفى على فطنٍ*** إن استضاءَ بما في الكُتْب قد جــاء
هذا هو الحقُّ نصًّــا لا مـــردَّ لـه*** من شاءَ بالحــق فليؤمن ومن شاءَ

قلت[4]: وأما من أبطل حجّتنا بأن السواد الأعظم من الأمة، إنما يقرؤون على الطاء المشددة، محتجا بقوله ﷺ: "عليكم بالسواد الأعظم من أمّتي"[5]، فجهل بما في نصوص الأيمة بأنّ السواد الأعظم هو القائم بالسنة والمصيب في الدعوى ولو شخصا واحدا، وبهذا[6] قال الإمام الحجّة المقدّم العلامة قدوة الأمة، وعلم الأئمة ناصر الشريعة ومحيى السنة: علاء الدين علي

---

[1] وفي (ب) (لها).

[2] وفي الأصل (يشبهه) والصواب ما في (ب) وقد أثبتناه في المتن؛ لأنه به يستقيم الوزن.

[3] وفي الأصل (الأبلج) والصواب ما في (ب) وقد أثبتناه في المتن؛ إذ به يستقيم الوزن.

[4] بزيادة (قلت) عن (ب).

[5] ورد في سنن ابن ماجه بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين بهذا اللفظ ورقمه (3950): ((إن أمتي لا تجتمع على ضلالة. فإذا رأيتم اختلافا، فعليكم بالسواد الأعظم)). قال محقق الكتاب تعليقا على الحديث: "إسناده ضعيف جدًا لضعف معان بن رفاعة السلامي، وشيخه أبو خلف الأعمى متروك ورماه ابن معين بالكذب": ج5/96.

[6] وفي (ب) (وبه قال ...).

ابن محمد بن إبراهيم البغدادي[1] المعروف بالخازن- تغمده الله برحمته- في تفسيره[2] "لباب التأويل في معاني التنزيل" في تفسير قوله تعالى[3]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[4].

فعلى هذا يكون المراد في هذه الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة وأن لا يتفرقوا في الدين إلى أن قال عن معاوية قال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال: " ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة" [5].

فإذا نظرت هذا يظهر لك أنّ السواد الأعظم هو من كان معه الحق ولو أقلّ ما يكون، وبهذا[6] قال النسفي في تفسيره، وقال[7]: " فرّقوا دينهم" أي: اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى، وفي الحديث :"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة، وهي الناجية وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي السواد الأعظم"[8].

---

[1] وفي (ب) بزيادة (الصوفي) بعد البغدادي.

[2] وفي (ب) بزيادة (الجليل المسمى بلباب...) بعد (في تفسيره).

[3] ينظر تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل أبو الحسن، المعروف بالخازن (741هـ)، تح: تصحيح محمد علي شاهين، ج2/ 177.

[4] سورة الأنعام: 159.

[5] سنن أبي داود تح: محمد محيى الدين عبد الحميد "عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا، فقال: "ألا إنَّ من قبلكم مِن أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملةً، وإنَّ هذه الملة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدةٌ في الجنة، وهي الجماعة" رقم الحديث (4597). ج198/4.

[6] وفي (ب) (وبه قال النسفي).

[7] ينظر تفسير النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تح: مروان محمد الشعار، ج2 / 39-40.

[8] ورد الحديث بهذا اللفظ في مسند أبي يعلى، تح: حسين سليم أسد: في قصة الرجل الذي أمر النبي ﷺ الصحابة بقتله في المسجد فترددوا بسبب ملابسته للصلاة، فخرج وأفلت منهم، فذكر لهم النبي ﷺ

فإذا نظرت هذا يظهر لك بالتنصيص من هو السواد الأعظم وبه قال ابن العربي في تفسيره[1] : " السواد الأعظم هو من قام على الحق ولو شخصا واحدا"، فإذا نظرت هذا يظهر لك بأدنى لمحة بطلان حجة من احتج علينا بقراءة السواد الأعظم بالطاء المشددة ؛ لجهله بمن هو السواد الأعظم.

وأما من اعتمد على لغات أهل هذا الزمان، وعلى مخارجهم وجعل خلافهم لنا على هذا الحرف إجماعا معتبرا فجهل بما في النصوص الأصولية بأن الإجماع لا يسمى إجماعا معتبرا ما خالفه عالم واحد، فكيف بمن خالفه أقاليم الثقات من علماء السنة من مجتهدي المتقدمين والمتأخرين كعدد نجوم السماء كأقاليم عمان، وإقليم أنصار تنبكتو، وإقليم الشيخ سيدي التلمّتيّ من بلاد شنقيط وغيرهم، وبه قال إمام الحرمين في ورقاته أصول الفقه.

وأما الإجماع المعروف والمعتبر[2] فهو اتفاق علماء العصر على حكم الحادثة، ويؤيد ما ذكرنا حديث " بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء[3] "[4]، وحديث " لم تزل طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا

أنهم لو قتلوه ما حصل خلاف بين المسلمين وذكر الحديث (3668): " تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة سبعون منها في النار وواحدة في الجنة وتفرقت أمة عيسى على ثنتين وسبعين ملة إحدى وسبعون منها في النار وواحدة في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: وتعلو أمتي على الفرقتين جميعا بملة اثنتين وسبعين في النار وواحدة في الجنة قالوا من هم يا رسول الله قال : الجماعات" مسند أبي يعلى.ج342/6.

[1] لم أعثر عليه.

[2] بزيادة (المعروف والمعتبر) عن (ب).

[3] وفي (ب) (بدأ هذا الدين غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء).

[4] الحديث رواه مسلم في صحيحه، صحيح مسلم : مسلم بن حجاج، تحقيق : نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة (145)، فقال: "حدثنا محمد بن عباد وابن أبي عمر. جميعا عن مروان الفزاري. قال ابن عباد: حدثنا مروان عن يزيد، يعني ابن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا. فطوبى للغرباء".

يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"[1] وسمّى النبي ﷺ السواد الأعظم عند فساد أمته كزمننا هذا فردا "غريبا" و"طائفة" من كثير.

فإذا نظرت هذا كله أو بعضه[2] يظهر لك جليّا أن الأدلة تتضافر[3] حجتنا؛ لأن حججنا منصوصة ومنطوقة موجبة للعلم لا تحتاج إلى قياس؛ لأنه موجب ظن كحجج غيرنا، وأدلتهم فإنها خفية وموجبة لظن؛ ولكن نسلم دعواهم فلا نعدها إلا اختلافا في اجتهاد العلماء المجتهدين الذي هو رحمة للعالمين، وأما الأدلة فيقدم الجلي منها على الخفي، والموجب للعلم على الموجب للظن، والنطق على القياس، والقياس الجلي على القياس الخفي، فتأمّـــــل!

والحمد لله، قال هذا وكتبه من[4] لولا أفول شموس ما عرّج عليه في الفتوى عثمان بن محمد بن حوالن الأنصاري إن كان صوابا فمن الله فله المنّ والفضل، فإن كان خطأ فمن محله معدن الجهل والخطأ.

قلت[5]: ولولا بلاد تنمّرت جرذانها، وتأسدت أذيابها، واستنسرت بغثانها، وتحككت عقاربها بالأفاعي، لندّ بي القلم وجرى في صحاري شوارد العلوم، تتحير في مخدرات عرائس دقائقها أحلام حذاق العلماء الأخيار، وتتردد في غياهب فلوات حقائقها قطاة أفكار فحول الأحبار، والحق مقبول ولو من جاهل ولا يطاع عالم في الباطل.

قال المؤلف عثمان الأنصاري: وكتبنا هذه العجالة إلى البحر الفياض العالم العلامة الزاهد الوليّ النقيّ التقيّ الزكيّ المرضيّ والدّرّاكة وقدوتنا الشهير[6] وإمامنا قاضي الحرمين العلم بن العلم الطيب نبيّن له حجتنا ودليلنا

---

[1] الحديث في سنن ابن ماجه (3952) ورد بلفظ: " ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين. لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله، ﷻ" قال المحقق : الحديث صحيح ؛ لكن الإسناد هنا ضعيف ج98/5.

[2] بزيادة (أو بعضه) عن (ب).

[3] أي : تضافر.

[4] بزيادة (من) عن (ب).

[5] بزيادة (قلت) عن (ب).

[6] بزيادة (الشهير) عن (ب).

على القراءة على الحرف الذي أدخل علينا بعض من وشى عنه خللا في ديننا واعتقادنا فيه، فإن كتب إلينا أدلة تعارض أدلتنا منسوخة من نصوص الأيمة سلمنا له دعواه من الاعتراض علينا وإلا كان اعتراضه كتمتمة الأمة في بعد سيدتها؛ لأن الاعتراض لا يسمى الاعتراض[1] حتّى يعترض المعترض على المعترض عليه فيجيب أو يعجم أ.هـ.

قلت: وقد خطأ[2] كثير من الناس حيث زعم أنّا إنما نقرأ بغير ما قرأ به القرّاء السبعة؛ بل نحن إنما نقرأ بقراءة نافع نتقنها مع التجويد، ونسلم جميع القراءات حتى الثلاث الباقية بعد السبع في قول من قال بها، فليس اختلافنا مع غيرنا اختلافا في القراءات ولا في التفسير؛ ولكن اختلافنا في حرف من حروف الهجائية[3] معجوز عنه لا يتقنه أحد بعد صميم العرب الأول مع أنا نسلم جميع ما يقرأ به غيرنا بالاجتهاد فيه ونصوّبه؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [4]، ولقوله ﷺ: "المراءُ في القرآنِ كفرٌ"[5]، ولقول أبي عبيد : " ليس وجه التفسير اختلافا في التأويل؛ ولكنه على الاختلاف في اللفظ، وهو أن يقرأ الرجل على حرف فيقول له الآخر: ليس هو هكذا ولكنّه على خلافه" انتهى صحّ من[6] خزينة الأسرار[7] .

فأنشدنا على منوال ما تقدم محتجين بما نقله الإمام[8] الربّاني، وناصر الشريعة[9]، ومحيي السنة الشهير قطب بلاد التكرورية الأنقى : حمّاد

---

[1] كذا في النسختين والصواب (اعتراضا).

[2] والصواب (أخطأ).

[3] كذا في النسختين والصواب (الحروف الهجائية) أو (حروف الهجاء).

[4] سبق التخريج.

[5] سبق التخريج.

[6] بزيادة (مِن) عن (ب)، وبزيادة (نصا بلا واسطة) بعد (خزينة الأسرار).

[7] سبق تخريجه.

[8] في (ب) (الغوث) بدل (الإمام). وبزيادة (الإمام العالم العلم قدوة الأمة) بعد (االرباني).

[9] في (ب) بزيادة (الدرّاكة) بعد (محيى السنة).

الأنصاري[1] عن شيخه [المبرز] الشريف الحسني ابن النجيب في الضاد مفصّلا إن شاء الله:

هذي التفاصيلُ غوثُ اللهِ واضعُها*** في كُتْبه وهناك نقلها حصلا
لا ما تقوّله الأقوامُ عن خطأ*** بلا دليلٍ من الأصلَيْنِ فانعزلا
الضادُ حرفٌ عسيرٌ ليس يتقنه[2]*** مَنْ فَاهَ بالطاءِ عند النطق فانجدلا
بل متقنٌ لمخارج الحروف حوى*** علمَ اللسانِ وحاز العلمَ والعملا
حاز الأصول مع الفروع واجتهد[3]*** وجوّد النطق بالحرف الذي نُقِلا[4]
فلا يجوزُ لنا الإنكارُ عن أحد*** في ذا المجالِ ولا جدال من جدلا
لأنّ مَنْ فاه بالحرفين مجتهدا*** فلا ملام ولا نكر ولا خللا
وقد حمى اللهُ يا ثقاتُ مُحكمَه*** عن التغيرِ أو تحريفِ من جهلا
أي انطق الله باجتهادنا كُتُبا*** فلم نبالِ بمن جفا ومن عزلا
لكن نسلمُ ما جاء تْ به أممٌ*** فلست أنكر تسليما لمن عدلا
لأنّ ذا الحرف لا يأتي به بشر*** من بعد ما قد مضى في العرب وانفتلا
والحق الابلج أن يذهب[5] بحجته *** كلا الفريقين إذ مقالهم قبلا
مَنْ قال بالشاذ لم يذهب بحجتِه*** فالشاذ خلف جميع الناس من عملا
فليس ما نحن فيه من طرائقه*** لأنَّ كلَّ فريقٍ جمه كملا
بل جاءت الطاءُ بعد من مضى قدما*** بلا دليلٍ ولا نص ولا عملا
فليس يتقنُها الأقوامُ كلُّهم*** إلا صميمٌ مضى قد فات وانتقلا

---

[1] بزيادة (حمّاد الأنصاري) عن (ب).

[2] في (ب) (يتقنها).

[3] وصوابه : حاز الأصول مع الفروع مجتهدا، كي يستقيم وزنا؛ لأن لا يوقف على صدور الأبيات بإشباع آخر حرف فيه فيتولد عنه حرف مجانس للحركة، كما هو الحال في "واجتهدا" و" اجتهدا" الآتي، ولا يفعل ذلك إلا في القوافي المطلقة، أو في آخر صدور الأبيات إذا كانت مصرعة أو مقفاة، ولا تصريع هنا ولا تقفية.

[4] في الأصل (أصلا) وفي (ب) (نُقِلا) وهو الصواب وقد أثبتناه؛ لصحة الوزن به.

[5] الفعل (يذهب) هنا مجزوم على "أن" الجازمة، ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تح: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله،ج1/ 27، 28.

فليس يتقنها من بعدهم أحـــــــــــدٌ*** ممن عـلا بعدهم منّا ومــن نـــزلا
من قـــال يتقنها من بعدهم سفـــــها*** فَلْيُـبْدِ حذوتــه نَسْلُكْ بــه سُـبـــلا[1]
وليس يقربها مـن الحـروف ســـوى*** لامٍ وظـــاءٍ فلا نكـر ولا جـــــدلا
ما أبعد الطاء بعدا مـن مخارجهـا[2]*** ما أقرب اللام بالـحرف الـذي أصـــلا
من أبدل الحرف لاما بعدما اجتهدا[3]*** يُثْـرَك وحجّتُه تـبدو لِمَـنْ عقـــــلا
ما أبعد الدال والطا من مخارجـــــــه*** لـــحن تواتر بعد العُـــرْبِ فاعتـدلا
فالشاذ من خالف الأسفار منـــــــتقدا*** وخالــف الجــم جمعا دينهم كمـــلا
جمٌّ غفيــر مصيب لـيس ينكـــره[4]***مـــن حاز علما وحــاز الدين والعملا
حرف تواتر عـــن ثقاتنا قدمـــــــا*** عـــدلا فعـــدلا إلى ساداتنا الفضلا
فكيــف ينسب شـاذّا لا ولا بدعـــــا*** فكيــف بالشـــاذّ من يقـل بــه ذهلا
لكنني لست ممـن كــان ينكـــــــره*** مخافـــة القرب من وزر الذي فعـــلا
بل لا يجوز لنا الكتمــان عن أحـــــد*** ممــن تجاهـــل أو بغى ومن عـدلا
أدعوكـم الجفلى فلتنظروا كتـبـــــــا*** يا مــن تحقق أو درى ومــن جهـلا
الحكم[5] فتحُ شيوخِ العـلم كُتْبَهُمُ*** ليظهر الحـــق عمّن جـــــــا به وتـــلا
فكـلُّ حكم بدون الكُتْبِ ليس على*** نهـــجِ الشريعةِ بل بطلانُه قـــــــبـلا
قد أفصح الكُتْبُ أن الحرف منعدم*** بعد الصحابة طـــار مَعْهم وجـــــــلا
فليس يتقنه من بعدهـم بشـــــــر*** لم يبق بعد ســوى اجتهاد من كـــملا
فقاسه القوم قدمـــا باجتهادهـــــم*** وكـــل مجتهـد بالاجتهـــاد خـــــلا
فلا يجوز لغيــر كـــل مجتهـــــد*** تقليـد مجتهـد أصـاب أو عطـــــلا
من أجل ذا وجب التسلـــــيم*** وارتفـع النـزاع بين شيــوخ العلــم وانفصــلا

---

[1] بزيادة هذا البيت عن (ب).

[2] في (ب) (مخارجه).

[3] ينظر الهامش رقم (9) في الصفحة السابق، فقد أشرنا فيه إلى مسألة الإشباع في صدر البيت، فتأمل رعاك الله!

[4] في الأصل (جمًّا غفيرا ليس ينكره). وأثبتنا ما ورد في النسخة (ب)، لاستقامة الوزن به.

[5] في (ب) (والحكم فتح...).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (370هـ)، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، ": دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ/1994م.

الشعر الأنصاري وتاريخه في مراحله الثلاث تأليف: أحمد الأنصاري وصديق الأنصاري، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 1429هـ،

الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، الأردن. 1417هـ، 1996م.

الروضة الندية شرح متن الجزرية للإمام العلامة المحقق أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الشهير بابن الجزري (833هـ)، شرح محمود محمد عبد المنعم العبد، صححه وعلّق عليه/ السادات السيد منصور أحمد من علماء الأزهر الشريف، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 2001م.

الأصوات العربية، د. كمال بشر، مكتبة الشباب – مصر (د.ت).

الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، 1995م.

الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، ط7، وطبعات أخرى للدار نفسها.

ألفية ابن مالك مع احمرار ابن بونا في علوم النحو والصرف، صححه وراجع مادته : أبّاه بن محمد عالي بن نعم العبد، منشورات محمد محفوظ بن أحمد، أنواكشوط– موريتانيا، ط1، 2003م.

المنح المكية في شرح الهمزية المسمى أفضل القِرى لقرّاء أم القُرى، للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي (974هـ)، تح: أحمد جاسم المحمّد وبوجمعة مكري، دار المنهاج، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.

الأوفى المختار في تاريخ بني إنفا الأنصار، تأليف د. عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري، دار الكتاب والسنة للنشر الدولي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1431هـ.

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" لمحمد بن عبد الله ابن مالك الطائي صحب الألفية المشهورة في النحو والصرف، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ط، 1968م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن أبو جعفر الطبري (310هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط1، 2001م.

جواهر الإكليل شرح مختصر العلامة الشيخ خليل في مذهب الإمام مالك إمام دار التنزيل للعالم العلّامة والبحر الفهامة المتوسل إلى الله تعالى/الشيخ صالح عبد السميع الآبي الأزهري، المكتبة العصرية: صيدا، بيروت، د.ط، 2008م.

حاشية العلامة الشيخ مخلوف بن محمد البدوي المنياوي على شرح حلية اللب المصون للعلامة الشيخ أحمد الدمنهوري على الرسالة الموسومة بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع لعبد الرحمن الأخضري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1938م.

خزينة الأسرار الكبرى جليلة الأذكار، جمع الأستاذ الكامل السيد/ محمد حقي النازلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1349هـ.

ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط3، 1996م.

رخيم الحواشي على نونية السَّخاوي، المؤلف : عبد الرحمن أبو حمزة المغربيُّ ، ط1، 1429هـ.

سنن ابن ماجه تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون. دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.

سنن أبي داود تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق الدكتور بشّار عوّاد معروف والدكتور يحيى هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت – شارع سوريا، ط1، 1985م.

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، فيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، 1918م.

شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الملك المنتوري القيسي(834هـ)، تقديم وتحقيق الأستاذ الصِّدِّيقي سيدي فوزي، مطبعة النجاح الجديدة– الدار البيضاء، ط1، 2001م.

صحيح مسلم: مسلم بن حجاج، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، ط1، 2006م.

علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط.)، (د.ت).

قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، تأليف الدكتور عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2003م.

الكتاب لسيبويه (ت: 180هـ) تح: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408 هـ– 1988م.

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل العجلوني (1162هـ)، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، 1351هـ.

مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: 518هـ) تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

مسند أبي يعلى، تح: حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون للتراث، دمشق، 1984م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تح: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط1، 1384هـ، 1964م

مفاتيح الغيب–التفسير الكبير: فخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

من نصوص الفقه المالكي (بوطليحية) وهو نظم في المعتمد من الكتب والفتوى على مذهب المالكية لمحمد النابغة بن عمر الغلاوي الشنقيطي ت 1245 هـ. تح: يحيى بن البراء، المكتبة المكية، مكة المكرمة، السعودية، مؤسسة الريان، بيروت، ط2، 2004م.

منح الجليل شرح مختصر خليل لمحمد بن أحمد بن محمد عليش: دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1989م.